

علوم القرآن ١١٢

تواتر القرآن

أحكام خاصة بالمصحف

أفضل القرآن وفاضله

نزول القرآن على سبعة أحرف

الاقتباس من القرآن

علا حلواني

المقدمة الثالثة

نقل القرآن

✓ الفصل الأول: قواعد نقل القرآن

الفصل الثاني: القراءات

الفصل الثالث: أئمة القراءات

مقدمات أساسية . الجدع

الفصل الأول

تواتر النقل للقرآن

المبحث الأول: تعريف التواتر:

التواتر في اللغة:

قال الجوهري: «واترت الكُتُبُ فتواترت، أي: جاءت بعضها في إثر بعضٍ وثراً وثراً، من غير أن تنقطع»^(١).

وفي «شرح القاموس»^(٢): «أصلُ هذا من الوتر، وهو الفرْدُ، وهو أتى جعلتُ كلَّ واحدٍ بعد صاحبه فرداً فرداً، والخبرُ المتواترُ: أن يُحدِّثه واحدٌ بعد واحدٍ، وكذلك خبرُ الواحدِ مثل المتواتر».

فمقتضى اللغة أن التواتر في النقل تتابع الرواية برواية الفرد عن الفرد يأتي الواحد في إثر الآخر دون انقطاع.

وأما في الاصطلاح: فتفاوتت العبارات عند أصحاب الفنون وتباينوا في ذلك تبايناً كبيراً، ولكنهم جميعاً اتفقوا على أن التواتر في الأخبار: هو ما أفاد القطع بصحتها وأسقط الظنَّ.

(١) الصَّحاح (مادة: وتر).

(٢) المسمى «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي (٣٣٨/١٤).

بعضهم يشترط رواية العَدَدِ عَنِ العَدَدِ، وهذا شرطٌ مع شِدَّةِ اضطرارهم فيه فإنه لا يُقيدُه الاستعمال اللُّغويُّ، وَيُنْبَغِي في بابِ التَّعَارِيفِ أَنْ يَكُونَ في اللُّغَةِ أَضَلُّ لِلْمَعْنَى الاضْطِرَّاحِيَّةِ.

أَمَّا إِذَا قُلْنَا: التَّوَاتُرُ رِوَايَةُ الخَبَرِ بِطَرِيقِ يُقِيدُ العِلْمَ، وَآكْتَفَيْنَا بِهَذَا في التَّعْرِيفِ، لَكَانَ أَصَحَّ، ثُمَّ تُرَاعَى الأَسْبَابُ الَّتِي يُخَلِّصُ بِهَا إلى هَذِهِ التَّسْجِةِ. وَهَذِهِ الأَسْبَابُ هِيَ المُعَبَّرُ عَنْهَا بِالقِسْرَائِنِ الَّتِي تَحْتَفُّ بِالخَبَرِ، كَصِدْقِ النَّاقِلِ، أَوْ موافقة غيره له مع امتناع الاتفاقِ بَيْنَهُمْ على الكَذِبِ وَالعَلَطِ. فَالنَّبِيُّ ﷺ رَوَى القُرْآنَ عَن جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرَوَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَهَذِهِ رِوَايَةُ فَرْدٍ عَن فَرْدٍ، لَكِنَّهَا أَعْلَى طَرِيقِ لإفادَةِ العِلْمِ وَاليَقِينِ.

فَهُنَا الاعْتِبَارُ بِصِفَاتِ النَّاقِلِ.

وَمَسْأَلَةٌ مِنَ العِلْمِ تَثْبُتُ في السُّنَّةِ، يَجْتَمِعُ النِّقْلَةُ في الأَمْصَارِ الإِسْلَامِيَّةِ في زَمَنِ الرِّوَايَةِ على نَقْلِهَا، لِكُلِّ أَهْلِ بَلَدٍ أَسَانِيدُهُمْ وَطُرُقُهُمْ فِيهَا حَتَّى تَنْتَهِيَ إلى النَّبِيِّ ﷺ، كَسُنَّةِ المَسْحِ على الخُفَّيْنِ، فَهَذَا بِمَا لَا يُرْتَابُ في إِفادَتِهِ القِطْعَ وَاليَقِينِ أَنَّهُ كَانَ مِنَ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَهُنَا الاعْتِبَارُ بِصِفَاتِ النَّاقِلِ، مَعَ العَدَدِ وَآخْتِلَافِ البُلْدَانِ المَانِعِ مِنَ التَّوَاتُرِ على العَلَطِ.

وَيُقَابِلُ ذَلِكَ حَدِيثٌ يُرَوَى عَن عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ إلى كُلِّ وَاحِدٍ

منهم إسناده أو أسانيد، ومع ذلك لا يصح، فهو لا يُفيد الظنَّ الرَّاجِحَ،
فَضْلًا عَنِ اليَقِينِ، كحديث: «مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا»^(١).

ومثله إشاعة تظهَرُ في النَّاسِ، يَتَنَاقَلُهَا الجَمْعُ عَنِ الجَمْعِ، فإذا بحثت عن
مُخْرِجِهَا وَجَدْتَهَا تَرْجِعُ إِلَى الكَذِبِ.

المبحث الثاني: نقل القرآن:

لا ريب أن طريق نقل القرآن الرواية.

لكن ما منزلتها في الروايات؟ هل نقلت إلينا بطريق التواتر الذي يعني
أن القرآن قطعي الثبوت إلى رسول الله ﷺ؟

القرآن رسالة النبي ﷺ، أنزله الله تعالى قانوناً للحياة، فحين كان نبيه
ﷺ يتلوهُ عَلَى النَّاسِ لم يَحْمِلُهُ عَنْهُ فَرْدٌ وَاحِدٌ، بل حَمَلَتْهُ الأُمَّةُ كُلُّهَا يَوْمَئِذٍ.

وقد تقدم في المقدمة الثانية شرح الكيفية التي جمع بها القرآن، وأنه كان
يُحْفَظُ في الصُّدُورِ وفي السُّطُورِ، وذلك تحقيقاً لوعدِ الله تعالى بحفظه، ليقم
حُجَّةٌ عَلَى النَّاسِ إِلَى أن تقوم الساعة.

فترى هذا القرآن قد اجتمع عامة الصحابة بعد رسول الله ﷺ على

(١) وهو حديث زوي عن بضعة عشر صحابياً، وهو على طريقة من يُراعي مجرد
العدد في التواتر يعده متواتراً، وهذا غلط كبير في العلم، فإن الحديث ليس بضعيف
فقط، بل شديد الضعف، كما شرحته في جزء خاص.

الاعتناء بنقله وضبط تلاوته وأدائه وروايته، وبقي الناس ينسخون
المصاحف عن أصول الصحابة، ويقرأون بأداء النقلة المتقين، في جميع
البلدان، وهو كتساب واحد، برسم واحد، يُتلى على أنواع من الأداء قد
تلقتها الأجيال عن الأجيال، لا يزيد فزُد على فزُد في تلاوته على ما في هذا
المصحف، وتأتي عليه القرون بعد القرون لا يزال منه شيء عن موضعيه،
فهذه دور المخطوطات في العالم كله في بلاد الإسلام وغيرها فيها ما لا
يُحصيه إلا الله من المصاحف التي كتبت في الأزمان والبلدان المختلفة، لا
ترى مصحفاً يختلف عن الآخر في شيء، وهذه ثبوت المسلمين لا يكاد يخلو
بيت من مصحف، أنظر فيها مشرقاً أو مغرباً، فلن ترى بينها اختلافاً.

هذا أحد طريقي نقل القرآن، وهو هذا المصحف وحل الأمة له جيلاً
عن جيل.

أما إن جئت إلى قراءات القراء، فإن الأسانيد بها قد انتهت إلى الدواوين
المتواترة عن أصحابها، وهي الكتب التي صنفتها أئمة القراء في وجوه
الأداء للقرآن كما تلقوها عن أئمة الكبار، فلما صار ذلك علماً مضبوطاً في
كتب خاصة فقد أغنى الناس عن استمرار الإسناد إلى اليوم.

وذلك كتدوين الحديث في الكتب، فإنه أغنى الأمة عن الاشتغال
بالإسناد بعدها، فهذا «صحيح البخاري» مثلاً، فهو مقطوع بصحته إليه،
وإن كانت أغلب الأسانيد منه إلى النبي ﷺ غير متواترة، وهذه مفارقة بينه
وبين القرآن، فالقرآن بقراءات أئمة القراء محفوظة إلى أولئك الأئمة

المصنّفين للقراءات بالأسانيد التي اجتمعت فيها قرائن التواتر^(١).

نعم، لم يزل الإسناد موجوداً تعتني به طائفة من العلماء وغيرهم للقرآن والحديث، لكنّه ليس الطريق إلى العلم، وإن كان له مصلحة للقرآن خاصة إذا أخذ عن المشايخ الكبار، وهي أخذ القرآن عن قارئ متقن قد حمله على ذلك الوجه عن شيخ قبله.

وكبار القراء الذين يقومون على مراجعة المصاحف، وعامتهم ممن قرأ على الشيوخ بأسانيدهم، يرجعون في ضبط المصاحف إلى تلك الكتب المصنفة في الأداء، لا يعتمدون أسانيدهم الخاصة.

المبحث الثالث: الشبهات حول نقل القرآن:

وأعلم أنه لا نزاع في تواتر نقل القرآن الذي في المصحف عند عامة المسلمين^(٢)، وإنما نازع بعض أصحاب الضلالة في تواتره فيما بين الصحابة

(١) أنظر: النشر في القراءات العشر، للإمام ابن الجزري (٥٨/١) وما بعدها.
(٢) وإن أورد أحد ما زوي أن الحجاج بن يوسف الثقفي غير في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً، منها: ﴿لم يتسنه﴾ في البقرة [الآية: ٢٥٩] كانت (يتسن) بغير هاء، فزاد الحجاج الهاء، إلى آخر الخبر الذي أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص: ٤٩-٥٠)، فأقول: هذا خبر كذب، فإن مصحف عثمان زمن الحجاج قد طبق ديار الإسلام، وما كان الحجاج ليغير حرفاً من كتاب الله والمصاحف الثمانية قد وقعت لكل الأمصار، وانتسخ الناس منها مصاحفهم، والقراء يومئذ من الذين يرجع إليهم الناس في القراءة موجودون، فإن كان الحجاج غير حرفاً في مصحف فولله ما كان =

الَّذِينَ جَمَعُوا الْقُرْآنَ فِي عَهْدِ عُمَانَ وَبَيْنَ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نِزَاعَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ فِي التَّوَاتُرِ بَعْدَ عُمَانَ وَإِلَى الْيَوْمِ.

وتعلّقوا بشبهات، يرجع حاصلها إلى ما يأتي:

✓ الشبهة الأولى: موقف ابن مسعود من الجمع العثماني عامة، وذكر المعوذتين فيه خاصة. →

وهذا تقدّم ذكره وإبطال التعلّق به في المقدمة السابقة.

✓ الشبهة الثانية: ما كان مذكوراً في مصحف أبي بن كعب وليس هو في مصاحف المسلمين.

وهذا كذلك سبق ذكره مع بعض مثاله، وأن مرجعه إلى أن أئمة ربنا قرأ بالمنسوخ من القرآن، وما كان من ذلك فهو من هذا القبيل على أقصى تقدير، أو يكون أبي كتبه في مصحفه لنفسه ليحفظه أو يتعاهده، وذلك أن مصحفه كان مخصّصاً، فجاءت أن يكون ذلك بمنزلة تعليقه يريدها الكاتب في هامش كتاب، ومما قد يؤكد أنه لم يؤثر عن أبي إنكار لصنيع عثمان ومن

= ليقدر أن يفعله في جميع تلك المصاحف، وإن كان أربب كثيراً من الناس يومئذ بظلمه وطغيانه، فما كان ليقدر أن يصمت جميع أمة محمد ﷺ فيحرف القرآن على مرأى من جميع المسلمين، ثم هب أن ذلك قد وقع من الحجاج؛ فأين النقلة لم يجتمعوا على نقله، ولماذا لم يأت إلا من طريق عبّاد بن صهيب رجل من المتروكين الهلكي؟ كيف وقد ثبتت الأسانيد الدالة على بطلان هذه الحكاية بخصوص كتابية تلك الأحرف؟ ومثل هذا لا يستحق الإطالة بأكثر مما ذكرت لظهور فساده.

مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ حِينَ كَتَبُوا الْمُصْحَفَ، مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَشِيرُونَهُ فِيهَا كَانُوا
يَضْنَعُونَ.

فَعَنْ هَانِيءِ الْبَرْبَرِيِّ مَوْلَى عُثْمَانَ، قَالَ:

كُنْتُ عِنْدَ عُثْمَانَ وَهُمْ يَغْرِضُونَ الْمَصَاحِفَ، فَارْسَلَنِي بِكِتَابِ شَاةٍ إِلَى أَبِي
بِنِ كَعْبٍ، فِيهَا: (لَمْ يَتَسَنَّ)، وَفِيهَا: (لَا تَبْدِيلَ لِلْخَلْقِ)، وَفِيهَا: (فَأَمْهَلِ
الْكَافِرِينَ)، قَالَ: فَدَعَا بِالذَّوَاةِ، فَمَحَا إِحْدَى اللَّامِينَ، وَكَتَبَ: ﴿لِخَلْقِ
اللَّهِ﴾ [الرُّوم: ٣٠]، وَمَحَا (فَأَمْهَلِ) وَكَتَبَ: ﴿فَمَهْلٌ﴾ [الطَّارِق: ١٧]،
وَكَتَبَ: ﴿لَمْ يَتَسَنَّ﴾ [البقرة: ٢٥٩] أَلْحَقَ فِيهَا الْهَاءَ^(١).

الشُّبْهَةُ الثَّلَاثَةُ: أَخْبَارٌ وَرَدَتْ فِي قُرْآنٍ مَنْسُوحِ التَّلَاوَةِ.

وَسِيَاقِي مِثَالُهُ فِي (المَقْدَمَةِ الرَّابِعَةِ).

وَبُطْلَانُ الْاِعْتِرَاضِ بِهَذَا ظَاهِرٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ قُرْآنًا نُسِخَتْ
تِلَاوَتُهُ، وَبَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ مَحْفُوظٌ فِي السُّنَنِ، وَمِنْهُ مَا أَنْسَاهُ اللَّهُ النَّاسَ فِي عَهْدِ
النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ

(١) أُنْتُرِ صَحِيحٌ.

أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ» (ص: ٢٨٦) - وَمِنْ طَرِيقِهِ: أَبُو جَرِيرٍ فِي
«تَفْسِيرِهِ» (٣/٣٨) - قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ:
حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلٍ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، عَنْ هَانِيءِ الْبَرْبَرِيِّ، بِهِ.
قُلْتُ: وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، أَبُو وَائِلٍ أَسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَحِيرِ بْنِ
رَيْسَانَ، ثِقَةٌ، وَهَانِيءٌ لَا بَأْسَ بِهِ صَدُوقٌ.

مِثْلِهَا، أَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة: ١٠٦﴾.

✓ الشُّبُهَةُ الرَّابِعَةُ: أَخْبَارٌ وَرَدَتْ بِزِيَادَاتٍ فِي بَعْضِ آيَاتِ الْكِتَابِ.

وَذَلِكَ مِثْلُ: حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:

✓ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ وَلَا يُبَالِي ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَرُ: ٥٣] (١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ أَكْبَرَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَرَحاً آيَةٌ فِي سُورَةِ الْعُرْفِ (٢): ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ إِنْ شَاءَ (٣).

(١) حَدِيثٌ حَسَنٌ.

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٦/٤٥٤، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١) وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (رَقْمٌ: ١٥٧٧) وَالتِّرْمِذِيُّ (رَقْمٌ: ٣٢٣٥) وَالتَّطَبَّرَاتِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢٤/١٦١) وَالْحَاكِمُ (رَقْمٌ: ٢٩٨٢) مِنْ طَرِيقِ عَنِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ أَسْمَاءَ، بِهِ. قُلْتُ: وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ صَدُوقٌ لَا بَأْسَ بِهِ، وَبِقِيَّةِ الْإِسْنَادِ ثِقَاتٌ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

(٢) يَعْنِي سُورَةَ الزُّمَرِ، وَسَمَّاهَا بِذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِيهَا: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ﴾ [الآية: ٢٠].

(٣) اثْرٌ صَحِيحٌ.

أَخْرَجَهُ التَّطَبَّرَاتِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٩/١٤٢) مِنْ طَرِيقِ مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ مَنْصُوراً، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْهُ بِهِ. وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ هَذِهِ آيَةَ: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ
أَوْ أُخْتُ﴾ [النساء: ١٢] لَأُمَّ^(١).

فهذا وشبهه لا يجوز الاعتراض به على نقل الجماعة لكتاب الله، إذ لا
يخرج عن احتمال أحد أمرين:

الأول: أنها زيادة تفسيرية أدرجت في السياق، يكون بعضها من قبيل
الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ في تفسير القرآن، كزيادة (ولا ييالي) في
حديث أسماء بنت يزيد، ويكون بعضها من قبيل الرأي والاجتهاد لأحد
الصحابة في تفسير الآية، كما في زيادة ابن مسعود في آية الزمير: (إن شاء)،
وكما في زيادة سعد بن أبي وقاص في آية الموارث: (لأُمَّ)^(٢).

(١) أثر صالح الإسناد.

أخرجہ الدارمی فی «مُسْنَدِهِ» (رقم: ٢٨٦٣) وأبو عبيد (ص: ٢٩٧) وأبو أبي
حاتم في «تفسيره» (رقم: ٤٩٣٦) وأبو جرير (٢٨٧/٤) والبيهقي في «الكبرى»
(٦/٢٣١) من طريقي عن يعلى بن عطاء عن القاسم بن زبيعة بن عبد الله بن قانف
الثقفي، عن سعد.

رواه عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وهشيم، ويعلى ثقة، والقاسم شيخ
ليس بالمشهور، وثقه ابن حبان.

(٢) في رواية شعبة ما يؤيد القول بأنها كانت تفسيراً من قبل سعد، قال شعبة:
عن يعلى بن عطاء، قال: سمعت القاسم بن زبيعة يقول: قرأت على سعد: ﴿وَإِنْ كَانَ
رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ﴾ قال سعد: لأُمَّه.

وفي هذا ما يُشعرُ بأنَّ المصاحِفَ الخاصَّةَ ببعضِ الصَّحابةِ، كابنِ مسعودٍ، رُبَّما تضمَّنت بعضَ العباراتِ التَّفسيريَّةِ، ولم تُجرَّدَ للقرآنِ.

قالَ الإمامُ أبو جَعْفَرِ النَّحَّاسِ بعدَ ذِكرِ حديثِ أسِماءَ وأبِنِ مسعودٍ في الزِّيادَةِ في آيَةِ الزُّمَرِ: «هاتانِ القراءَتانِ على التَّفْسيرِ»^(١).

✓ والثَّاني: أن تكونَ تلكَ الزِّيادَةُ قرآناً مَنْسُوخاً، لم يَعْلَمَ بِنَسْخِهِ بعضُ الصَّحابةِ، فقرأوا بِالمَنْسُوخِ، أو كَتَبُوهُ في مصاحِفِهِم.

وذلكَ مثلُ ما وردَ عَنَ أَبِي يُونُسَ مَوْلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهُ قالَ:

أَمَرْتَنِي عَائِشَةُ أَنْ أَكْتُبَ لَهَا مُصْحَفًا، ثُمَّ قالَتْ: إِذَا بَلَغْتَ هَذِهِ الآيَةَ فَادْنِي: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فَلَمَّا بَلَغْتُهَا أَذْنَتْهَا، فَأَمَلْتُ عَلَيَّ: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)، ثُمَّ قالَتْ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢).

(١) إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاسِ (١٦/٤).

(٢) حديثٌ صحيحٌ.

أَخْرَجَهُ مالِكٌ (رقم: ٣٦٧) قالَ: عَنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنَ أَبِي يُونُسَ، بِهِ.

وَمِنْ طَرِيقِ مالِكٍ أَخْرَجَهُ: أَحْمَدُ (٦/٧٣، ١٧٨) وَمُسْلِمٌ (رقم: ٦٢٩) وَأَبُو داوُدَ (رقم: ٤١٠) وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٩٨٦) وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٤٧٢). قالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

ممهّدات النبوة

ممن صرح بأن ثمت ممهّدات للوحي ابن حجر رحمه الله حيث قال : " وبديء بذلك لِيَكُونَ تَمْهِيْدًا وَتَوْطِيْنَةً لِلْيَقِيْظَةِ ثُمَّ مَهَّدَ لَهُ فِي الْيَقِيْظَةِ أَيْضًا رُؤْيَا الضَّوِّءِ وَسَمَاعِ الصَّوْتِ وَسَلَامِ الْحَجْرِ¹ ومن أهم مظاهر هذه التهيئة :

حادثة شق الصدر.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَتَاهُ جِبْرِيلُ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْعِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً فَقَالَ هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ. ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمٍ ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ وَجَاءَ الْعِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظَنُّرَهُ - فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ. فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَفِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيْطِ فِي صَدْرِهِ

2

كان يرى ويسمع ما لا يستطيع البشر رؤيته وسماعه:

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- (إِنِّي لِأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لِأَعْرِفُهُ الْآنَ)³

وروي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِخَدِيْجَةَ (إِنِّي أَرَى ضَوْءًا وَأَسْمَعُ صَوْتًا وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ بِي جِنُّنٌ قَالَتْ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ أَتَتْ

¹ فتح الباري لابن حجر (٢٣/١)

² صحيح مسلم - م (١٠١ / ١)

³ (صحيح مسلم - م (٥٨ / ٧)

وَرَقَّةَ بِنِ نَوْفَلٍ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ إِنَّ يَكُ صَادِقًا فَإِنَّ هَذَا نَامُوسٌ مِثْلُ نَامُوسِ مُوسَى
فَإِنَّ بُعِثَ وَأَنَا حَيٌّ فَسَاعَزْزُهُ وَأَنْصِرُهُ وَأُومِنُ بِهِ) ⁴

الرؤيا الصادقة في النوم

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت (أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه و سلم
من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم
حبيب إليه الخلاء) ⁵

فالرؤيا الصَّادِقَةُ وَهِيَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا ضِعْثٌ وَلَيْسَتْ مِنْ تَلْبِيسِ الشَّيْطَانِ
وَالْمُرَادُ بِفَلَقِ الصُّبْحِ ضِيَاؤُهُ وَخُصَّ بِالتَّشْبِيهِ لِظُهُورِهِ الْوَاضِحِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَبُدِئَ
بِذَلِكَ لِيَكُونَ تَمْهِيدًا وَتَوَطُّئًا لِلْيَقَظَةِ ثُمَّ مَهَّدَ لَهُ فِي الْيَقَظَةِ أَيْضًا رُؤْيَا الضَّوِّ وَسَمَاعِ
(الصَّوْتِ وَسَلَامِ الْحَجَرِ) ⁶

وقوله حبيب إليه الخلاء لم يُسَمَّ فاعله لِعدمِ تَحَقُّقِ الْبَاعِثِ عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْ
عِنْدَ اللَّهِ أَوْ لِيُنَبِّئَهُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَاعِثِ الْبَشَرِ أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الْإِلَهَامِ
وَالْخَلَاءُ بِالْمَدِّ الْخَلْوَةُ وَالسَّرُّ فِيهِ أَنَّ الْخَلْوَةَ فَرَاغُ الْقَلْبِ لِمَا يَتَوَجَّهُ لَهُ ⁷

⁴ مسند أحمد (٥/ ٤٤)

⁵(صحيح البخاري - البيهقي) (١/ ٤)

(فتح الباري لابن حجر) (١/ ٢٣٦)

^٧ فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٣)

نزول الوحي على النبي عليه الصلاة والسلام أول مرة

حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن - 3
الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه و
سلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح
ثم حباب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات
العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه
الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال (ما أنا بقارىء) . قال
فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارىء) :
فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء
فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال { اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من
علق . اقرأ وربك الأكرم { } . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه و سلم يرجف
فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال (زملوني زملوني) .
فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر (لقد خشيت على نفسي)
. فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة
وكان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يمتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل
بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا بن عم
اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله
عليه و سلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزله الله به على موسى يا
ليتنى فيها جذع ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم

(أومخرجي هم) . قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتن الوحي⁸

(الصالحة) الصادقة وهي التي يجري في اليقظة ما يوافقها . (فلق الصبح) ضياؤه (ونوره ويقال هذا في الشيء الواضح البين . (الخلاء) الانفراد . (بغار حراء) الغار هو النقب في الجبل وحراء اسم لجبل معروف في مكة . (ينزع) يرجع . (ما أنا بقارىء) لا أعرف القراءة ولا أحسنها . (فغطني) ضمني وعصرني حتى حبس نفسي ومثله غتني . (الجهد) غاية وسعي . (أرسلني) أطلقتني . (علق) جمع علقة وهي المنى بعد أن يتحول إلى دم غليظ متجمد والآيات المذكورة أول ما نزل من القرآن الكريم وهي أوائل سورة العلق . (يرفف فؤاده) يخفق قلبه ويتحرك بشدة . (زملوني) لفوني وغطوني . (الروح) الفزع . (ما يخزيك) لا يذلک ولا يضيعك . (لتصل الرحم) تكرم القرابة وتواسيهم . (تحمل الكل) تقو بشأن من لا يستقل بأمره ليتم وغيره وتتوسع بمن فيه ثقل وغلاظة . (تكسب المعدم) تتبرع بالمال لمن عدمه وتعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك . (تقري الضيف) تهيب له القرى وهو ما يقدم للضيف من طعام وشراب . (نوائب الحق) النوائب جمع نائبة وهي ما ينزل بالإنسان من المهمات وأضيفت إلى الحق لأنها تكون في الحق والباطل . (تنصر) ترك عبادة الأوثان واعتنق النصرانية . (الناموس) هو صاحب السر والمراد جبريل عليه السلام سمي بذلك لاختصاصه بالوحي . (فيها) في حين ظهور نبوتك . (جذع) شاب والجذع في الأصل الصغير من البهائم ثم استعير للشباب من الإنسان . (يومك) يوم إخراجك أو يوم ظهور نبوتك وانتشار دينك . (مؤزراً) قويا من الأزر وهو القوة . (ينشب) يلبث . (فتن الوحي) تأخر عن النزول مدة من الزمن

كان النبي يحفظ ما يلقي إليه:

(صحيح البخاري - البغا (١) / ٨٤)

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها (أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم

أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما) :
(قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول
قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا)⁹

[صلصلة) هي صوت الحديد إذا حرك وتطلق على كل صوت له طنين . والمشبهه () هنا صوت الملك بالوحي . (فيفصم) يقلع وأصل الفصم القطع من غير إبانة . (وعيت) فهمت وحفظت . (ليتفصد) يسيل من الفصد وهو قطع العرق لإسالة الدم] شبه الجبين بالعرق المفصود مبالغة من كثرة عرقه

:مظاهر عناية الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالقرآن -¹⁰

إدراكا من الرسول -صلى الله عليه وسلم- للأمانة الكبرى التي كلف بها وهي أن يبلغ الناس القرآن: {وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} ١
وإدراكا منه عليه الصلاة والسلام أن تبليغ القرآن يجب أن يكون كما سمعه بلا زيادة ولا نقصان ولا استبدال لحرف بحرف أو حركة بحركة، لذا فقد كان عليه الصلاة (والسلام يشعر بخرج شديد وخوف عظيم أن ينسى

شيئا من القرآن مما جعله يحرك لسانه بالقرآن لحظة نزول الوحي مع شدة وطأة الوحي وما يعانیه من الجهد والكرب عند نزوله، وما زال صلى الله عليه وسلم كذلك حتى نزل عليه قوله تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} ١ . وقال سبحانه: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ

(صحيح البخاري - البغا (١ / ٤)⁹

(دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ١٠٦٧

أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ} ٢ . فكان صلى الله عليه وسلم بعد هذا إذا أتاه الوحي أطرق فإذا ذهب جبريل وجد الرسول -صلى الله عليه وسلم- القرآن مجموعاً في صدره كما وعده الله .

وقد حفظ الرسول -صلى الله عليه وسلم- القرآن كله وحفظه أصحابه، وكان جبريل يعارضه إياه في كل عام مرة في شهر رمضان، وعارضه إياه في العام الذي توفي فيه مرتين كما في حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي" ٣ وكان صلى الله عليه وسلم يقوم بالقرآن ويتلوه آناء الليل وأطراف النهار حتى كادت أن تتشقق قدماه ، وقد كان له

كتاب للوحي فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات على الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويخبره بموضعها من السورة، ثم يقرأها الرسول عليه الصلاة والسلام على أصحابه ويأمر كتاب الوحي بكتابتها بعد أن يبين لهم موضعها من السورة . كما كان يبين لأصحابه ما يشكل عليهم من المعاني .

عناية الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن الكريم

اشتد التنافس بين الصحابة -رضي الله عنهم- في حفظ القرآن الكريم وتلاوته وتدبره، وتسابقوا إلى مدارسته وتفسيره والعمل به، وكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، وكانوا يهجرون لذيق المنام ودفء الفراش ويؤثرون قيام الليل والتهدج بالقرآن حتى كان يسمع لبيوتهم دويًا كدوي النحل لتلاوتهم القرآن وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحثهم على ذلك ويحرص على سماع تلاوتهم،

(فقد قال لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة! لقد أوتيت مزارًا من مزامير آل داود" ١ واستمع لتلاوة سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما فقال له: "الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك" ٢ وقال لابن مسعود رضي الله عنه: "اقرأ عليّ القرآن"، فقال ابن مسعود: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: "إني أحب أن أسمع من غيري"، فقرأ عليه سورة النساء حتى إذا

بلغ قوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} ٣
قال: "حسبك الآن"، قال ابن مسعود: فالتفت فإذا عيناه تذرفان" ٤، وقال صلى الله
عليه وسلم: "إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل
وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا
بالنهار" ٥

والأخبار كثيرة تشهد على عناية الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن الكريم وتلاوته،
وحفظه وعلى حث الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه على ذلك
فلا عجب أن يكثر عدد حفاظ القرآن من الصحابة إذ حفظه في حياة الرسول -صلى
الله عليه وسلم- الجم الغفير من الصحابة رضي الله عنهم
فمن المهاجرين الذين حفظوا القرآن كله أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة،
وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وعبد الله بن
عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وعبد الله بن الزبير،
وعبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة

وقد توافرت الدواعي لحفظ الصحابة للقرآن الكريم: ومنها
1- قوة الحافظة عندهم وسيلان الذهن وحدة خاطر وفي التاريخ شواهد لذلك -1
أنهم كانوا أميين لا يعرفون القراءة ولا يحذقون الخط والكتابة وجعلهم هذا لا -2
يعولون إلا على قوة الحافظة
3- تمكن الإيمان من قلوبهم -رضي الله عنهم- وحب الله سبحانه وتعالى وحب
الرسول -صلى الله عليه وسلم- وحب كتابه مما جعلهم يقبلون على حفظ القرآن.
بلاغة القرآن التي ملكت الأفئدة، وقد كانوا يتذوقون الكلام ويحفظون أجوده فلا عجب
أن يقبلوا على حفظ القرآن
النصوص الكثيرة الواردة في الحث على حفظ القرآن والترهيب من نسيانه -5
وهجره

تشريع قراءة القرآن في الصلاة والقيام به في الليل وهم أهل صلاة وقيام وغير -6 ذلك من العوامل التي دفعتهم لحفظ القرآن حتى حفظه عدد كبير كما أشرنا ويكفي أنه قتل في بئر معونة نحو سبعين من حفاظ القرآن وقتل في معركة اليمامة مثلهم؛ مما يدل على كثرة حفاظ القرآن الكريم في عهد الصحابة -رضي الله عنهم- وأرضاهم (وعلى تنافسهم في حفظ القرآن وتحفيظه وتعلمه وتعليمه).

:حفظ التابعين ومن بعدهم -رحمهم الله تعالى- للقرآن الكريم -6

مر بنا أن الصحابة -رضي الله عنهم- انتشروا في الآفاق الإسلامية والبلدان المفتوحة

يعلمون الناس أمور دينهم ويعقدون حلق التعليم والتدريس في مساجد تلك البلدان،

وأقبل عليهم كثير من الناس يتحلقون حولهم، ويتلقون العلم منهم وصار لبعض هذه المدارس شهرة كبيرة حملت كثيرًا من التابعين على الرحلة إليها وتلقي العلم من أهلها كمدرسة ابن مسعود -رضي الله عنه- في الكوفة ومدرسة أبي بن كعب -رضي الله عنه- في المدينة ومدرسة ابن عباس -رضي الله عنهما- في مكة وغيرها من مدارس الصحابة رضي الله عنهم.

وكان الصحابة يعلمونهم القرآن الكريم ويحفظونهم إياه ويفسرون لهم معانيه ويبينون لهم أحكامه، وقد أقبل التابعون على هذه المدارس فكثر حفظ القرآن الكريم ولم يقتصر على تلاوته بل حفظوا أوجه قراءته واشتهر عدد كبير من الحفاظ بالقراءة والرواية.

وتجرد بعض التابعين -رحمهم الله تعالى- للعناية بضبط القراءات وإتقانها ووضع القواعد لها والأصول حتى صاروا أئمة يقتدى بهم - فنشأ علم القراءات - كما نطق المصحف وشكل

فمن المعلوم أن المصاحف في عهد الصحابة -رضي الله عنهم- لم تكن منقوطة ولا مضبوطة بالشكل. وقد كان ذلك لأنهم كانوا عربًا خلصًا يقرءون بفهمهم أكثر أو مثل ما يقرءون بالحروف المائلة أمامهم

ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية واختلط العرب بالعجم دخل اللحن في لسان الأحفاد، وأخطر ما يكون اللحن وأشدّه حين يقع في القرآن الكريم. وأكثر من يدرك فشو اللحن وانتشاره من يقيم في بلاد العجم السابقة كالعراق بلاد الفرس.

وقد كان زياد بن عبيد الله والي البصرة "٤٤-٥٣هـ" في خلافة معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- وحين رأى زياد ظهور اللحن خشي أن ينال القرآن منه شيء فبعث إلى أبي الأسود الدؤلي وقال له: يا أبا الأسود إن هذه الحمراء -يعني العجم- قد كثرت، وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم، ويعربون به كتاب الله تعالى فأبى ذلك أبو الأسود، وكره إجابة زياد إلى ما سأل هيبه للقرآن وإجلالاً أن يضع فيه ما ليس منه، حتى سمع أبو الأسود رجلاً يقرأ قوله تعالى: {أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} ١ بكسر اللام من ورسوله فاستعظم أبو الأسود ذلك وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله. ثم رجع إلى زياد وأجابه إلى طلبه ووضع علامات الإعراب كانت علامات الإعراب التي وضعها هي:

1- نقطة فوق الحرف للفتح

2- نقطة بين يدي الحرف للضم

3- نقطة تحت الحرف للكسر

4- نقطتين للحرف المنون

ثم وبعد أن أمن الناس من اللحن أو كادوا بعد وضع علامات الإعراب ظهر نوع آخر من الخطأ وهو التمييز بين الحروف التي تتحد صورتها بدون نقط كالباء والتاء والتاء، وكالجيم والحاء، وكالذال والذال، ونحوها وشق على السواد منهم أن يهتدوا إلى التمييز بين حروف المصحف وكلماته وهي غير معجمة. مما دعا الخليفة عبد الملك بن مروان إلى أن يأمر الحجاج بن يوسف الثقفي واليه في العراق أن يختار من العلماء من يقوم بهذا العمل

:واختار الحجاج بن يوسف لهذا العمل عالمين هما

1- "يحيى بن يعمر العدواني ت قبل "٩٠هـ - 1

2- "نصر بن عاصم الليثي" ت ٩٠هـ - 2

فقاما بإعجام الحروف بوضع النقاط المعروفة إلى يومنا هذا ٢١، ثم لئلا يقع خلط بين
نقط الإعجام ونقط الإعراب قام الخليل بن أحمد بتغيير نقط الإعراب إلى علامات
الإعراب المعروفة الآن

7- عناية الأمة بالقرآن الكريم في العصر الحديث

أما في العصور الحديثة فما زالت المسيرة -والحمد لله- مستمرة يحفظ المسلمون
القرآن في صدورهم مع تكالب الأحوال على المسلمين واضطراب المعيشة ومغريات
الحضارة وتوافر الموانع، وانحسار الدوافع، وما زلنا نرى كثرة حفاظ القرآن الكريم
ونجد إقبالا لا يخطر ببال ولا يحلم بمثله أهل الكتاب

فقد انتشرت مدارس تحفيظ القرآن الكريم العديدة وأنشئت معاهد للقراءات وكليات
القرآن في العديد من الدول الإسلامية والحمد لله ٦ كما أقبلوا على فهم معانيه والعمل
به والكشف عن أسرارهِ ولم يدعوا ناحية من نواحيهِ إلا وألفوا فيه مؤلفات قيمه فمنهم
من ألف في القراءات ، ومنهم من ألف في المحكم والمتشابه ومنهم من ألف في
أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ومنهم من ألف في أحكامه حتى زخرت المكتبات
بتراث مجيد وكان ذلك ثروة للأمة أوضحت مدى العناية والحراسة التي أحيط بها
كتاب الله على مر العصور.

1. رواه مسلم، ج ١ ص ٥٤٦

2. مسند الإمام أحمد ج ٦ ص ١٦٥

3. سورة النساء: الآية ٤١

4. رواه البخاري: ج ٦ ص ١١٣

5. رواه مسلم ج ٤ ص ١٩٤٤

6. الإيتقان: السيوطي ج ١ ص ٧٢

1. سورة القيامة: الآيات ١٦، ١٩

2. سورة طه: الآية ١١٤

3. رواه البخاري ج ٤ ص ١٨٣

1. سورة الأنعام: الآية ١٩

بعض الأحكام الخاصة بالمصحف

]

مسألة: لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ: مُصْحَفٌ وَلَا مُسَيِّدٌ، مَا كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى فَهُوَ عَظِيمٌ.^{١١}

حكم اتلاف الأوراق البالية من المصحف

إِذَا اخْتِيجَ إِلَى تَعْطِيلِ بَعْضِ أَوْرَاقِ الْمُصْحَفِ لِبَلَى وَنَحْوِهِ:

فَلَا يَجُوزُ وَضْعُهَا فِي شَقٍّ أَوْ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ قَدْ يَسْقُطُ وَيُوطَأُ،

وَلَا يَجُوزُ تَمْزِيئُهَا^{١٢} لِمَا فِيهِ مِنْ تَقْطِيعِ الْحُرُوفِ وَتَفْرِيقِ الْكَلِمِ، وَفِي ذَلِكَ إِزْرَاءُ

بِالْمَكْتُوبِ كَذَا قَالَ الْحَلِيمِيُّ

قَالَ: وَلَهُ: غَسَلُهَا بِالْمَاءِ،

وَإِنْ أَحْرَقَهَا بِالنَّارِ فَلَا بَأْسَ؛ أَحْرَقَ عُمَانُ مَصَاحِفَ كَانَ فِيهَا آيَاتُ وَقِرَاءَاتُ

مَنْسُوخَةً، وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ

وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّ الْإِحْرَاقَ أَوْلَى مِنَ الْغَسْلِ، لِأَنَّ الْغُسَالََةَ قَدْ تَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ وَجَزَمَ

الْقَاضِي حُسَيْنٌ فِي تَعْلِيْقِهِ بِامْتِنَاعِ الْإِحْرَاقِ، لِأَنَّهُ خِلَافَ الْإِحْتِرَامِ، وَالنَّوَوِيُّ بِالْكَرَاهَةِ

وَفِي بَعْضِ كُتُبِ الْحَنْفِيَّةِ أَنَّ الْمُصْحَفَ إِذَا بَلِيَ لَا يُحْرَقُ، بَلْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ

وَيُدْفَنُ، وَفِيهِ وَفَقَّةٌ لِتَعَرُّضِهِ لِلْوَطْءِ بِالْأَقْدَامِ.^{١٣}

^{١١} الاتقان ٤ - ١٩٠

^{١٢} أي التقطيع حتى تذهب معالمه ولا يمكن قراءة شيء منه وهذا غير ممكن

^{١٣} الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي (٤ / ١٩٠)

أفضل القرآن وفاضله

النوع الثالث والسبعون: في أفضل القرآن وفاضله

اختلف الناس: هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟ فذهب الإمام أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر الباقلاني وابن حبان إلى المنع لأن الجميع كلام الله ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه وروى هذا القول عن مالك قال يحيى بن يحيى تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ ولذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها

وقال ابن حبان في حديث أبي بن كعب: ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن إن الله لا يعطي لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب مثل ما يعطي القارئ أم القرآن إذ الله سبحانه وتعالى بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم وأعطاهما من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه قال: وقوله: "أعظم سورة" أراد به الأجر لا أن بعض القرآن أفضل من بعض وذهب آخرون إلى التفضيل لطواهر الأحاديث منهم: إسحاق بن راهويه وأبو بكر بن العربي والغزالي وقال القرطبي: إنه الحق ونقله عن جماعة من العلماء والمتكلمين: وقال الغزالي في جواهر القرآن لعلك أن تقول: قد أشرت إلى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض والكلام كلام الله فكيف يفارق بعضها بعضاً؟ وكيف يكون بعضها أشرف من بعض فاعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المدائنت وبين سورة الإخلاص وسورة تبت،

وترتاع على اعتقاد الفرق نفسك الحوارة المستغرقة بالتقليد فقلد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم فهو الذي أنزل عليه القرآن وقال: يس قلب القرآن و فاتحة الكتاب أفضل سور القرآن وآية الكرسي سيده أي القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن والأخبار الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة

الثَّوَابِ فِي تِلَاوَتِهَا لَا تُحْصَى انْتَهَى.

وَقَالَ ابْنُ الْحَصَارِ: الْعَجَبُ مِمَّنْ يَذْكَرُ الْاِخْتِلَافَ فِي ذَلِكَ مَعَ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ

بِالتَّفْضِيلِ!

وَقَالَ الشَّيْخُ عَزُّ الدِّينِ بُنُّ عَبْدِ السَّلَامِ: كَلَامُ اللَّهِ فِي اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ كَلَامِهِ فِي غَيْرِهِ

فَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ أَفْضَلُ مِنْ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ

وَقَالَ الْخُوَيْبِيُّ: كَلَامُ اللَّهِ أْبْلَغُ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ

وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: بَعْضُ كَلَامِهِ أْبْلَغُ مِنْ بَعْضِ الْكَلَامِ جَوَّزَهُ قَوْمٌ لِقُصُورِ نَظَرِهِمْ

وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ هَذَا الْكَلَامُ أْبْلَغُ مِنْ هَذَا أَنْ هَذَا فِي مَوْضِعِهِ لَهُ

حُسْنٌ وَلُطْفٌ وَذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ لَهُ حُسْنٌ وَلُطْفٌ وَهَذَا الْحُسْنُ فِي مَوْضِعِهِ أَكْمَلُ مِنْ

ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ قَالَ فَإِنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} أْبْلَغُ مِنْ {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}

يَجْعَلُ الْمُقَابَلَةَ بَيْنَ ذِكْرِ اللَّهِ وَذِكْرِ أَبِي لَهَبٍ وَبَيَّنَ التَّوْحِيدَ وَالدُّعَاءَ عَلَى الْكَافِرِ وَذَلِكَ

غَيْرُ صَحِيحٍ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْخُسْرَانِ فَهَلْ تُوجَدُ

عِبَارَةٌ لِلدُّعَاءِ بِالْخُسْرَانِ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ وَكَذَلِكَ فِي قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ لَا تُوجَدُ عِبَارَةٌ تَدُلُّ

عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ أْبْلَغُ مِنْهَا فَالْعَالِمُ إِذَا نَظَرَ إِلَى تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ فِي بَابِ الدُّعَاءِ

بِالْخُسْرَانِ وَنَظَرَ إِلَى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَقُولَ: أَحَدُهُمَا أْبْلَغُ

مِنَ الْآخَرِ انْتَهَى.

وَقَالَ غَيْرُهُ: اِخْتَلَفَ الْقَائِلُونَ بِالتَّفْضِيلِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْفَضْلُ رَاجِعٌ إِلَى عِظَمِ الْأَجْرِ

وَمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ بِحَسَبِ انْفِعَالَاتِ النَّفْسِ وَخَشْيَتِهَا وَتَدْبِيرِهَا وَتَفَكُّرِهَا عِنْدَ وُرُودِ

أَوْصَافِ الْعُلَا

وَقِيلَ: بَلْ يُرْجَعُ لِذَاتِ اللَّفْظِ وَأَنَّ مَا تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} الْآيَةَ

وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ وَآخِرُ سُورَةِ الْحَشْرِ وَسُورَةِ الْإِخْلَاصِ مِنَ الدَّلَالَاتِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ

وَصِفَاتِهِ لَيْسَ مَوْجُودًا مَثَلًا فِي تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَمَا كَانَ مِثْلَهَا فَالتَّفْضِيلُ إِنَّمَا هُوَ

بِالْمَعَانِي الْعَجِيبَةِ وَكَثَرَتِهَا

وَقَالَ الْحَلِيمِيُّ وَنَقَلَهُ عَنْهُ الْبَيْهَقِيُّ: مَعْنَى التَّفْضِيلِ يَرْجِعُ إِلَى أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ بِآيَةِ أَوْلَى مِنَ الْعَمَلِ بِأُخْرَى وَأَعْوَدُ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى هَذَا

يقال آيات الأمر والنهي والوعد والوعيد خبر من آيات القصاص لأنها إنما أريد بها تأكيد الأمر والنهي والإنذار والتبشير ولا غنى بالناس عن هذه الأمور وقد يستغنون عن القصاص فكان ما هو أعود عليهم وأنفع لهم مما يجري مجرى الأصول خيرا لهم مما يجعل تبعاً لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ.

الثاني: أن يقال الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته والدلالة على عظمته أفضل بمعنى أن مخبراتها أسنى وأجل قدراً.

الثالث: أن يقال سورة خير من سورة أو آية خير من آية بمعنى أن القارئ يتعجل له بقراءتها فائدة سوى الثواب الأجل ويتأدى منه بتلاوتها عبادة كقراءة آية الكرسي والإخلاص والمعوذتين فإن قارئها يتعجل بقراءتها الإحترار مما يخشى والإعتصام بالله ويتأدى بتلاوتها عبادة الله لما فيها من ذكره سبحانه وتعالى بالصفات العلى سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس إلى فضل ذلك بالذكر وبركته فأما آيات الحكم فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة حكم وإنما يقع بها علم

ثم لو قيل في الجملة إن القرآن خير من التوراة والإنجيل والزبور بمعنى أن التعبد بالتلاوة والعمل واقع به دونها والثواب بحسب قراءته لا بقراءتها أو أنه من حيث الإعجاز حجة النبي المبعوث وتلك الكتب لم تكن معجزة ولا كانت حجج أولئك الأنبياء بل كانت دعوتهم والحجج غيرها لكان ذلك أيضاً نظير ما مضى

وقد يقال: إن سورة أفضل من سورة لأن الله جعل قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها وأوجب بها من الثواب ما لم يوجب بغيرها وإن كان المعنى الذي لأجله بلغ بها هذا المقدر لا يظهر لنا كما يقال: إن يوماً أفضل من يوم وشهراً أفضل من شهر بمعنى العبادة فيه تفضل على العبادة في غيره والذنب فيه أعظم منه في غيره وكما يقال إن الحرم أفضل من الحل لأنه يتأدى فيه من المناسك ما لا يتأدى في غيره والصلاة فيه تكون كصلة مضاعفة مما تُقام في غيره: انتهى كلام الحليمي.

وقال ابن التين في حديث البخاري: "لأعلمنك سورة هي أعظم السور" معناه أن ثوابها أعظم من غيرها وقال غيره: إنما كانت أعظم السور لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن ولذلك سميت أم القرآن

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّ اللَّهَ أَوْدَعَ عُلُومَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ فِي الْقُرْآنِ ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ الْقُرْآنِ الْفَاتِحَةَ فَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَهَا كَانَ كَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَ جَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنزَلَةِ أَخْرَجَهُ النَّبِيَهَقِيُّ.

وَبَيَانُ اشْتِمَالِهَا عَلَى عُلُومِ الْقُرْآنِ قَرَّرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ بِاشْتِمَالِهَا: عَلَى الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَعَلَى التَّعَبُّدِ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَعَلَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَآيَاتِ الْقُرْآنِ لَا تَخْلُو عَنْ أَحَدٍ هَذِهِ الْأُمُورِ

وَقَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ: الْمَقْصُودُ مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ تَقْرِيرُ أُمُورٍ أَرْبَعَةٍ الْإِلَهِيَّاتِ وَالْمَعَادِ وَالنُّبُوتِ وَإِثْبَاتِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ لِلَّهِ تَعَالَى فَقَوْلُهُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} يَدُلُّ عَلَى الْإِلَهِيَّاتِ وَقَوْلُهُ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} يَدُلُّ عَلَى الْمَعَادِ وَقَوْلُهُ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} يَدُلُّ عَلَى نَفِي الْجَبْرِ وَعَلَى إِثْبَاتِ أَنَّ الْكُلَّ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَقَوْلُهُ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} إِلَى آخِرِ السُّورَةِ يَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ قَضَاءِ اللَّهِ وَعَلَى النُّبُوتِ فَلَمَّا كَانَ الْمَقْصِدُ الْأَعْظَمُ مِنَ الْقُرْآنِ هَذِهِ الْمَطَالِبُ الْأَرْبَعَةُ وَهَذِهِ السُّورَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَيْهَا سُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرْآنِ

وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: هِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْحِكْمِ النَّظَرِيَّةِ وَالْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي هِيَ سُلُوكُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْإِطْلَاقُ عَلَى مَرَاتِبِ السُّعْدَاءِ وَمَنَازِلِ الْأَشْقِيَاءِ

وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ: هِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ مَنَاطُ الدِّينِ: أَحَدُهَا: عِلْمُ الْأَصُولِ وَمَعَاقِدِهِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَإِلَيْهَا الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} وَمَعْرِفَةُ النَّبُوتِ وَهِيَ الْمُرَادَةُ بِقَوْلِهِ: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} وَمَعْرِفَةُ الْمَعَادِ وَهُوَ الْمَوْمِي إِلَيْهِ قَوْلُهُ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}

وَتَانِيهَا: عِلْمُ الْفُرُوعِ وَأَسْئَةِ الْعِبَادَاتِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} وَثَالِثُهَا: عِلْمُ مَا يَحْصُلُ بِهِ الْكَمَالُ وَهُوَ عِلْمُ الْأَخْلَاقِ وَأَجْلُهُ الْوُصُولُ إِلَى الْحَضْرَةِ الصَّمَدَانِيَّةِ وَالْإِلْتِجَاءِ إِلَى جَنَابِ الْفَرْدَانِيَّةِ وَالسُّلُوكِ لِطَرِيقِهِ وَالِاسْتِقَامَةَ فِيهَا وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

وَرَابِعُهَا: عِلْمُ الْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ عَنِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ السُّعْدَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَشْقِيَاءِ وَمَا يَنْصِلُ بِهَا مِنْ وَعْدِ مُحْسِنِهِمْ وَوَعِيدِ مُسِيئِهِمْ وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ:

{أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ: مَقَاصِدُ الْقُرْآنِ سِتَّةٌ ثَلَاثَةٌ مُهِمَّةٌ؛ وَثَلَاثَةٌ مُتَمَّةٌ الْأُولَى تَعْرِيفُ الْمَدْعُوِّ إِلَيْهِ كَمَا أُشِيرُ إِلَيْهِ بِصَدْرِهَا وَتَعْرِيفُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَقَدْ صَرَّحَ بِهَا وَتَعْرِيفُ الْحَالِ عِنْدَ الرَّجُوعِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَهُوَ الْآخِرَةُ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} وَالْأُخْرَى تَعْرِيفُ أَحْوَالِ الْمُطِيعِينَ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} وَحِكَايَةُ أَقْوَالِ الْجَاهِلِينَ وَقَدْ أُشِيرَ إِلَيْهَا بِ {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} وَتَعْرِيفُ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} أَنْتَهَى

وَلَا يُنَافِي هَذَا وَصَفُهَا فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ بِكُونِهَا "ثَلَاثِي الْقُرْآنِ" لِأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَّهَهُ بِأَنَّ دَلَالَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِمَّا أَنْ تَكُونَ بِالْمُطَابَقَةِ أَوْ بِالتَّضَمُّنِ أَوْ بِالِالْتِزَامِ وَهَذِهِ السُّورَةُ تَدُلُّ عَلَى جَمِيعِ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ بِالتَّضَمُّنِ وَالِالْتِزَامِ دُونَ الْمُطَابَقَةِ وَالِالْتِزَامِ مِنَ الثَّلَاثَةِ ثَلَاثَانِ ذَكَرَهُ الزَّرْكَشِيُّ فِي شَرْحِ التَّنْبِيهِ وَنَاصِرُ الدِّينِ بُنُ الْمَيْلَقِ قَالَ: وَأَيْضًا الْحُقُوفُ ثَلَاثَةٌ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ وَحَقُّ بَعْضِ الْعِبَادِ عَلَى بَعْضِ وَقَدْ اشْتَمَلَتْ الْفَاتِحَةُ صَرِيحًا عَلَى الْحَقِّينِ الْأَوَّلَيْنِ فَنَاسَبَ كَوْنُهَا بِصَرِيحِهَا ثَلَاثِينَ "وَحَدِيثٌ" قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ " شَاهِدٌ لِذَلِكَ

قُلْتُ: وَلَا تَنَافِي أَيْضًا بَيْنَ كَوْنِ الْفَاتِحَةِ أَعْظَمَ السُّورِ وَبَيْنَ الْحَدِيثِ الْآخِرِ أَنَّ الْبَقْرَةَ أَعْظَمُ السُّورِ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ مَا عَدَا الْفَاتِحَةَ مِنَ السُّورِ الَّتِي فَصَّلَتْ فِيهَا الْأَحْكَامَ وَضُرِبَتْ الْأَمْثَالُ وَأُقِيمَتِ الْحُجَجُ إِذْ لَمْ تَشْتَمَلِ سُورَةٌ عَلَى مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ فَسْطَاطَ الْقُرْآنِ

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي أَحْكَامِهِ: سَمِعْتُ بَعْضَ أَشْيَاحِي يَقُولُ فِيهَا أَلْفٌ أَمْرٍ وَأَلْفٌ نَهْيٍ وَأَلْفٌ حُكْمٍ وَأَلْفٌ خَبَرٍ وَلِعَظِيمِ فَفَهِيَ أَقَامَ ابْنُ عُمَرَ ثَمَانِي سِنِينَ عَلَى تَعْلِيمِهَا أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ أَيْضًا إِنَّمَا صَارَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ أَعْظَمَ الْآيَاتِ لِعَظَمِ مُقْتَضَاهَا فَإِنَّ الشَّيْءَ إِنَّمَا يَشْرَفُ بِشَرَفِ ذَاتِهِ وَمُقْتَضَاهُ وَتَعَلُّقَاتِهِ وَهِيَ فِي آيِ الْقُرْآنِ كَسُورَةِ الْإِخْلَاصِ فِي سُورِهِ إِلَّا أَنَّ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ تَفْضُلُهَا بِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا سُورَةٌ وَهَذِهِ آيَةٌ وَالسُّورَةُ أَعْظَمُ لِأَنَّهَا وَقَعَ التَّحْدِي بِهَا فَهِيَ أَفْضَلُ مِنْ

الآية التي لم يتحدَّ بها.

وَالثَّانِي: أَنَّ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ اقْتَضَتْ التَّوْحِيدَ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ حَرْفًا، وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ اقْتَضَتْ فِي خَمْسِينَ حَرْفًا، فَظَهَرَتِ الْقُدْرَةُ فِي الْإِعْجَازِ بِوَضْعِ مَعْنَى مُعَبَّرٍ عَنْهُ بِخَمْسِينَ حَرْفًا، ثُمَّ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِخَمْسَةِ عَشَرَ، وَذَلِكَ بَيَانٌ لِعَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَالْإِنْفِرَادِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ: اشْتَمَلَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ عَلَى مَا لَمْ تَشْتَمَلْ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ أَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى سَبْعَةِ عَشَرَ مَوْضِعًا، فِيهَا اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى ظَاهِرًا فِي بَعْضِهَا وَمُسْتَكْتَنًا فِي بَعْضٍ وَهِيَ: اللَّهُ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ضَمِيرُ {تَأْخُذُهُ} "وَلَهُ" و"عِنْدَهُ" و"بِإِذْنِهِ" و"يَعْلَمُ" و"عِلْمُهُ" و"شَاءَ" و"كُرْسِيَّهُ" و"يُؤَدُّهُ" ضَمِيرُ "حِفْظُهُمَا" الْمُسْتَتِرُ الَّذِي هُوَ فَاعِلُ الْمَصْدَرِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ وَإِنْ عُدَّتِ الضَّمَانُ الْمَحْتَمَلَةُ فِي الْحَيِّ الْقَيُّومِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَالضَّمِيرُ الْمُقَدَّرُ قَبْلَ الْحَيِّ عَلَى أَحَدِ الْأَعْرَابِ صَارَتْ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ.

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ: إِنَّمَا كَانَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ سَيِّدَةَ الْآيَاتِ، لِأَنَّهَا اشْتَمَلَتْ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ فَقَطُّ، لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ وَمَعْرِفَةُ ذَلِكَ هِيَ الْمَقْصِدُ الْأَقْصَى فِي الْعُلُومِ. وَمَا عَدَاهُ تَابِعٌ لَهُ وَالسَّيِّدُ اسْمٌ لِلْمُنْتَبِعِ الْمُقَدَّمِ فَقَوْلُهُ: "اللَّهُ" إِشَارَةٌ إِلَى الذَّاتِ "لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" إِشَارَةٌ إِلَى تَوْحِيدِ الذَّاتِ "الْحَيُّ الْقَيُّومُ" إِشَارَةٌ إِلَى صِفَةِ الذَّاتِ وَجَلَالِهِ فَإِنَّ مَعْنَى "الْقَيُّومِ" الَّذِي يُفُومُ بِنَفْسِهِ، وَيُفُومُ بِهِ غَيْرُهُ وَذَلِكَ غَايَةُ الْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ {لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} تَنْزِيهِهُ وَتَقْدِيسُ لَهُ عَمَّا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ مِنْ أَوْصَافِ الْحَوَادِثِ، وَالتَّقْدِيسُ عَمَّا يَسْتَحِيلُ أَحَدُ أَقْسَامِ الْمَعْرِفَةِ {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} إِشَارَةٌ إِلَى الْأَفْعَالِ كُلِّهَا وَأَنَّ جَمِيعَهَا مِنْهُ وَإِلَيْهِ {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} إِشَارَةٌ إِلَى انْفِرَادِهِ بِالْمُلْكِ وَالْحُكْمِ وَالْأَمْرِ، وَأَنَّ مَنْ يَمْلِكُ الشَّفَاعَةَ إِنَّمَا يَمْلِكُهَا بِتَشْرِيفِهِ إِيَّاهُ وَالْإِذْنَ فِيهَا، وَهَذَا نَفْيُ الشَّرِكَةِ عَنْهُ فِي الْحُكْمِ وَالْأَمْرِ {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} إِلَى قَوْلِهِ: {شَاءَ} إِشَارَةٌ إِلَى صِفَةِ الْعِلْمِ وَتَفْضِيلِ بَعْضِ الْمَعْلُومَاتِ وَالْإِنْفِرَادِ بِالْعِلْمِ، حَتَّى لَا عِلْمَ لِغَيْرِهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ وَوَهَبَهُ، عَلَى قَدْرِ مَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} إِشَارَةٌ إِلَى عَظَمَةِ مُلْكِهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، {وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا} إِشَارَةٌ إِلَى صِفَةِ الْقُدْرَةِ وَكَمَالِهَا وَتَنْزِيهِهَا عَنِ

الضَّعْفِ وَالنُّقْصَانِ {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} إِشَارَةٌ إِلَى أَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ فِي الصِّفَاتِ.
فَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذِهِ الْمَعَانِي تُمَّ تَلَوْتَ جَمِيعَ آيِ الْقُرْآنِ لَمْ تَجِدْ جُمْلَتَهَا مَجْمُوعَةً فِي آيَةٍ
وَاحِدَةٍ فَإِنَّ شَهِدَ اللهُ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ وَسُورَةُ الْإِخْلَاصِ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ
وَالتَّقْدِيسُ وَ {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ} لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الْأَفْعَالُ وَالْفَاتِحَةُ فِيهَا الثَّلَاثَةُ لَكِنْ غَيْرُ
مَشْرُوحَةٍ بَلْ مَرْمُوزَةٌ وَالثَّلَاثَةُ مَجْمُوعَةٌ مَشْرُوحَةٌ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَالَّذِي يَقْرُبُ مِنْهَا
فِي جَمْعِهَا آخِرُ

الْحَشْرِ وَأَوَّلُ الْحَدِيدِ وَلَكِنَّهَا آيَاتٌ لَا آيَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا قَابَلْتَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ بِأَحَدِ تِلْكَ
الْآيَاتِ وَجَدْتَهَا أَجْمَعَ لِلْمَقَاصِدِ فَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّتِ السِّيَادَةَ عَلَى الْآيِ كَيْفَ وَفِيهَا الْحَيُّ
الْقَيُّومُ وَهُوَ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ كَمَا وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ انْتَهَى كَلَامُ الْغَزَالِيِّ

ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفَاتِحَةِ "أَفْضَلُ" وَفِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ سَيِّدَةٌ
لِسِرٍّ وَهُوَ أَنَّ الْجَامِعَ بَيْنَ فُنُونِ الْفَضْلِ وَأَنْوَاعِهَا الْكَثِيرَةِ يُسَمَّى أَفْضَلَ فَإِنَّ الْفَضْلَ هُوَ
الزِّيَادَةُ وَالْأَفْضَلُ هُوَ الْأَزِيدُ وَأَمَّا السُّؤْدُودُ فَهُوَ رُسُوخٌ مَعْنَى الشَّرَفِ الَّذِي يَقْتَضِي
الِاسْتِتْبَاعَ وَيَأْبَى التَّبَعِيَّةَ وَالْفَاتِحَةُ تَتَضَمَّنُ التَّنْبِيهَ عَلَى مَعَانٍ كَثِيرَةٍ وَمَعَارِفَ مُخْتَلِفَةٍ
فَكَانَتْ أَفْضَلَ وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ تَشْتَمِلُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ الْعُظْمَى الَّتِي هِيَ الْمَقْصُودَةُ الْمَتَّبُوعَةُ
الَّتِي يَتَّبِعُهَا سَائِرُ الْمَعَارِفِ فَكَانَ اسْمُ السَّيِّدِ بِهَا أَلْيَقَ انْتَهَى.

ثُمَّ قَالَ فِي حَدِيثٍ: "قَلْبُ الْقُرْآنِ يَسُ": إِنَّ ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ صِحَّتُهُ بِالْإِعْتِرَافِ
بِالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَهُوَ مُقَرَّرٌ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِأَبْلَغِ وَجْهِ فَجُعِلَتْ قَلْبَ الْقُرْآنِ لِذَلِكَ
وَاسْتَحْسَنَهُ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ.

وَقَالَ النَّسْفِيُّ: يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا تَقْرِيرُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ
الْوَحْدَانِيَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَالْحَشْرِ وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِالْقَلْبِ وَالْجَنَانِ وَأَمَّا الَّذِي بِاللِّسَانِ
وَبِالْأَرْكَانِ فَفِي غَيْرِ هَذِهِ السُّورَةِ فَلَمَّا كَانَ فِيهَا أَعْمَالُ الْقَلْبِ لَا غَيْرَ سَمَّاهَا قَلْبًا وَلِهَذَا
أَمَرَ بِقِرَاءَتِهَا عِنْدَ الْمُحْتَضِرِّ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَكُونُ اللَّسَانُ ضَعِيفَ الْقُوَّةِ وَالْأَعْضَاءُ
سَاقِطَةً لَكِنَّ الْقَلْبَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَرَجَعَ عَمَّا سِوَاهُ فَيُقْرَأُ عِنْدَهُ مَا يَزِدَادُ بِهِ قُوَّةً
فِي قَلْبِهِ وَيَشْتَدُّ تَصَدِيقُهُ بِالْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ انْتَهَى.

واختلف النَّاسُ فِي مَعْنَى كَوْنِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ تُعَدُّ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ فَقِيلَ: كَأَنَّهُ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ شَخْصًا يُكْرِرُهَا تَكَرَّرَ مَنْ يَقْرَأُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ فَخَرَجَ الْجَوَابُ عَلَى هَذَا وَفِيهِ بُعْدٌ عَنِ ظَاهِرِ الْحَدِيثِ وَسَائِرِ طُرُقِ الْحَدِيثِ تَرُدُّهُ

وَقِيلَ: لِأَنَّ الْقُرْآنَ يَشْتَمِلُ عَلَى قِصَصٍ وَشَرَائِعٍ وَصِفَاتٍ وَسُورَةٍ الْإِخْلَاصِ كُلِّهَا صِفَاتٌ فَكَانَتْ ثُلَاثًا بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ

وَقَالَ الْعَزَالِيُّ فِي الْجَوَاهِرِ: مَعَارِفُ الْقُرْآنِ الْمُهَمَّةُ ثَلَاثَةٌ: مَعْرِفَةُ التَّوْحِيدِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْآخِرَةِ وَهِيَ مُشْتَمَلَةٌ عَلَى الْأَوَّلِ فَكَانَتْ ثُلَاثًا

وَقَالَ أَيْضًا فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الرَّازِيُّ: الْقُرْآنُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْبَرَاهِينِ الْفَاطِعَةِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَصِفَاتِهِ إِمَّا صِفَاتُ الْحَقِيقَةِ وَإِمَّا صِفَاتُ الْفِعْلِ وَإِمَّا صِفَاتِ الْحُكْمِ فَهَذِهِ ثَلَاثَةٌ أُمُورٍ وَهَذِهِ السُّورَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى صِفَاتِ الْحَقِيقَةِ فَهِيَ ثَلَاثٌ.

وقال الخويبي المطالب التي في القرآن معظمها الأصول الثلاثة التي بها يصح الإسلام ويحصل الإيمان وهي معرفة الله والاعتراف بصدق رسوله واعتقاد القيام بين يدي الله تعالى فإن من عرف أن الله واحد وأن النبي صادق وأن الدين واقع صار مؤمناً حقاً ومن أنكر شيئاً منها كفر قطعاً وهذه السورة تُفِيدُ الْأَصْلَ الْأَوَّلَ فَهِيَ ثَلَاثُ الْقُرْآنِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ

وَقَالَ غَيْرُهُ: الْقُرْآنُ قِسْمَانِ: خَبْرٌ وَإِنْشَاءٌ وَالْخَبْرُ قِسْمَانِ خَبْرٌ عَنِ الْخَالِقِ وَخَبْرٌ عَنِ الْمَخْلُوقِ فَهَذِهِ ثَلَاثَةٌ أَثَلَاثِ وَسُورَةُ الْإِخْلَاصِ أَخْلَصَتْ الْخَبْرَ عَنِ الْخَالِقِ فَهِيَ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ ثَلَاثٌ وَقِيلَ: تَعَدَّلُ فِي الثَّوَابِ وَهُوَ الَّذِي يَشْهَدُ لَهُ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي سُورَةِ الزَّلْزَلَةِ وَالنَّصْرِ وَالْكَافِرِينَ؛

لَكِنْ ضَعَّفَ ابْنُ عَقِيلٍ ذَلِكَ وَقَالَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فَلَهُ أَجْرُ ثَلَاثِ الْقُرْآنِ لِقَوْلِهِ: "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ"

قال ابن عبد البر: السُّكُوتُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَفْضَلُ مِنَ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَسْلَمَ ثُمَّ أَسْنَدَ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ مَنْصُورٍ قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعَدَّلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ" مَا وَجْهُهُ؟ فَلَمْ يَقُلْ لِي فِيهَا عَلَى أَمْرٍ وَقَالَ لِي إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَّةٍ: مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ لَمَّا فَضَّلَ كَلَامَهُ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ جَعَلَ لِبَعْضِهِ أَيْضًا فَضْلًا فِي الثَّوَابِ لِمَنْ قَرَأَهُ تَحْرِيفًا عَلَى تَعْلِيمِهِ لَا أَنْ مَنْ قَرَأَ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} أَحَدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

كَانَ كَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ جَمِيعَهُ هَذَا لَا يَسْتَقِيمُ وَلَوْ قَرَأَهَا مِائَتِي مَرَّةٍ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ
فَهَذَانِ إِمَامَانِ بِالسُّنَّةِ مَا قَامَا وَلَا قَعَدَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

وَقَالَ ابْنُ الْمَيْلِقِ فِي حَدِيثٍ: "إِنَّ الزَّلْزَلَةَ نَصَفَ الْقُرْآنَ" لِأَنَّ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ تَنَقَّسِمُ
إِلَى أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَأَحْكَامِ الآخِرَةِ وَهَذِهِ السُّورَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى أَحْكَامِ الآخِرَةِ كُلِّهَا إِجْمَالًا
وَزَادَتْ عَلَى الْقَارِعَةِ بِإِخْرَاجِ الْأَثْقَالِ وَتَحْدِيثِ الْأَخْبَارِ وَأَمَّا تَسْمِيئُهَا فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ
رُبْعًا فَلِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْبَعْثِ رُبْعُ الْإِيمَانِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ: "لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ
حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ
وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَيُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ" فَاقْتَضَى هَذَا الْحَدِيثُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْبَعْثِ الَّذِي
قَرَّرْتَهُ هَذِهِ السُّورَةُ رُبْعُ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ الْقُرْآنُ

وَقَالَ أَيْضًا فِي سِرِّ كَوْنِ "أَلْهَاكُمْ" تَعْدِيلَ أَلْفِ آيَةٍ: إِنَّ الْقُرْآنَ سِتْنَةُ آلَافِ آيَةٍ وَمِائَتَا
آيَةٍ وَكَسْرٌ فَإِذَا تَرَكَنَا الْكُسْرَ كَانَ الْأَلْفُ سُدُسَ الْقُرْآنِ وَهَذِهِ السُّورَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى سُدُسِ
مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهَا فِيمَا ذَكَرَهُ الْغَزَالِيُّ سِتْنَةُ ثَلَاثٍ

مُهَمَّةٌ وَثَلَاثُ مُتَمَّةٌ وَتَقَدَّمَتْ وَأَحَدُهَا مَعْرِفَةُ الآخِرَةِ الْمُشْتَمِلُ عَلَيْهِ السُّورَةُ وَالتَّعْبِيرُ
عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِالْأَلْفِ آيَةٍ أَفْخَمُ وَأَجَلُّ وَأَضْحَمُ مِنَ التَّعْبِيرِ بِالسُّدُسِ

وَقَالَ: أَيْضًا فِي سِرِّ كَوْنِ سُورَةِ الْكَافِرِينَ رُبْعًا وَسُورَةُ الْإِخْلَاصِ ثُلَاثًا مَعَ أَنَّ كُلًّا
مِنْهُمَا يُسَمَّى الْإِخْلَاصَ أَنَّ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ اشْتَمَلَتْ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَلَى مَا لَمْ تَشْتَمِلْ
عَلَيْهِ "الْكَافِرُونَ" وَأَيْضًا فَالْتَّوْحِيدُ إِثْبَاتُ إِلَهِيَّةِ الْمَعْبُودِ وَتَقْدِيسُهُ وَنَفْيُ إِلَهِيَّةِ مَا سِوَاهُ وَقَدْ
صَرَّحَتْ الْإِخْلَاصُ بِالْإِثْبَاتِ وَالتَّقْدِيسِ وَلَوْحَتْ إِلَى نَفْيِ عِبَادَةِ غَيْرِهِ وَالْكَافِرُونَ
صَرَّحَتْ بِالنَّفْيِ وَلَوْحَتْ بِالْإِثْبَاتِ وَالتَّقْدِيسِ فَكَانَ بَيْنَ الرُّبُوعَيْنِ مِنَ التَّصْرِيحَيْنِ
وَالتَّلْوِيحَيْنِ مَا بَيْنَ الثُّلُثِ وَالرُّبُعِ أَنْتَهَى.

تَذْنِيبٌ

ذَكَرَ كَثِيرُونَ فِي أَثَرِهِ: أَنَّ اللَّهَ جَمَعَ عُلُومَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي الْكُتُبِ الْأَرْبَعَةِ
وَعُلُومَهَا فِي الْقُرْآنِ وَعُلُومِهِ فِي الْفَاتِحَةِ فزَادُوا عُلُومَ الْفَاتِحَةِ فِي الْبِسْمَلَةِ وَعُلُومَ
الْبِسْمَلَةِ فِي بَائِهَا وَوَجَّهَ بِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ كُلِّ الْعُلُومِ وَصُولُ الْعَبْدِ إِلَى الرَّبِّ وَهَذِهِ الْبَاءُ
بَاءُ الْإِلْصَاقِ فَهِيَ تُلْصِقُ الْعَبْدَ بِجَنَابِ الرَّبِّ وَذَلِكَ كَمَا الْمَقْصُودُ ذَكَرَهُ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ

وَأَبْنُ التَّقِيْبِ فِي تَفْسِيْرِهِمَا^{١٤}

^{١٤} الإِتْقَانُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ (٤ / ١٣٦)

فصل في الاقتباس وما جرى مجراه

١٤٧٣ - الاقتباس تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه بالأى يقال فيه قال الله تعالى ونحوه فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباسا وقد اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله وأما أهل مذهبنا فلم يتعرض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين مع شيوع الاقتباس في أعصارهم واستعمال الشعراء له قديما وحديثا وقد تعرض له جماعة من المتأخرين فسئل عنه الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فأجازه واستدل له بما ورد عنه من قوله في الصلاة وغيرها وجهت وجهي إلى آخره وقوله اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين واغنني من الفقر

وفي سياق كلام لأبي بكر وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

وفي آخر حديث لابن عمر قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة انتهى

١٤٧٤ - وهذا كله إنما يدل على جوازه في مقام الموعظ والثناء والدعاء وفي

النثر لا دلالة فيه على جوازه في الشعر وبينهما فرق فإن القاضي أبا بكر من المالكية

صرح بأن تضمينه في الشعر مكروه وفي النثر جائز

١٤٧٥ - واستعمله أيضا في النثر القاضي عياض في مواضع من خطبة الشفا

١٤٧٦ - وقال الشرف إسماعيل بن المقرئ اليمني صاحب مختصر الروضة في

شرح بديعيتة ما كان منه في الخطب والمواعظ ومدحه ولو في النظم فهو مقبول

وغيره مردود

١٤٧٧ - وفي شرح بديعية ابن حجة الاقتباس ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود

فالأول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود

والثاني ما كان في القول والرسائل والقصص

والثالث على ضربين أحدهما ما نسبته الله إلى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى

نفسه كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية عماله إن إلينا

إيابهم ثم إن علينا حسابهم والآخر تضمين آية في معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك

كقوله

أوحى إلى عشاقه طرفه ... هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه ... لمثل ذا فليعمل العاملون
قلت وهذا التقسيم حسن جدا وبه أقول

١٤٧٨ - وذكر الشيخ تاج الدين بن السبكي في طبقاته في ترجمة الإمام أبي منصور عبد القاهر بن الطاهر التميمي البغدادي من كبار الشافعية وأجلائهم أن من شعره قوله

يا من عدا ثم اعتدى ثم اقتترف ... ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشر بقول الله في آياته ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وقال استعمال مثل الأستاذ أبي منصور مثل هذا الاقتباس في شعره له فائدة فإنه
جليل القدر والناس ينهون عن هذا وربما أدى بحث بعضهم إلى أنه لا يجوز
وقيل إن ذلك إنما يفعله من الشعراء الذين هم في كل واد يهيمون ويثبون على
الألفاظ وثبة من لا يبالي وهذا الأستاذ أبو منصور من أئمة الدين وقد فعل هذا وأسند
عنه هذين البيتين الأستاذ أبو القاسم بن عساكر
قلت ليس هذان البيتان من الاقتباس لتصريحه بقول الله وقد قدمنا أن ذلك خارج
عنه

١٤٧٩ - وأما أخوه الشيخ بهاء الدين فقال في عروس الأفراح الورع اجتناب
ذلك كله وأن ينزه عن مثله كلام الله ورسوله

١٤٨٠ - قلت رأيت استعمال الاقتباس لأئمة أجلاء منهم الإمام أبو القاسم
الرافعي وأنشده في أماليه ورواه عنه أئمة كبار قال
الملك لله الذي عنت الوجوه ... له وذلت عنده الأرباب
متفرد بالملك والسلطان قد ... خسر الذين تجاذبوه وخابوا
دعهم وزعم الملك يوم غرورهم ... فسيعلمون غدا من الكذاب
١٤٨١ - وروى البيهقي في شعب الإيمان عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمي
قال أنشدنا أحمد بن محمد بن يزيد لنفسه
سل الله من فضله واتقه ... فإن التقى خير ما تكتسب

ومن يتق الله يصنع له ... ويرزقه من حيث لا يحتسب

١٤٨٢ - ويقرب من الاقتباس شيئان

أحدهما قراءة القرآن يراد بها الكلام قال النووي في التبيان ذكر ابن أبي داود في هذا اختلافا فروى النخعي أنه كان يكره أن يتأول القرآن لشيء يعرض من أمر الدنيا

١٤٨٣ - وأخرج عن عمر بن الخطاب أنه قرأ في صلاة المغرب بمكة والتين

والزيتون وطور سينين ثم رفع صوته فقال وهذا البلد الأمين

١٤٨٤ - وأخرج عن حكيم بن سعيد أن رجلا من المحكمة أتى عليا وهو في

صلاة الصبح فقال لئن أشركت ليحبطن عملك فأجابه في الصلاة فاصبر إن وعد الله

حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون انتهى

١٤٨٥ - وقال غيره يكره ضرب الأمثال في القرآن صرح به من أصحابنا

العماد البيهقي تلميذ البغوي كما نقله الصلاح في فوائد رحلته

١٤٨٦ - الثاني التوجيه بالألفاظ القرآنية في الشعر وغيره وهو جائز بلا شك

١٤٨٧ - وروينا عن الشريف تقي الدين الحسيني أنه لما نظم قوله

مجاز حقيقتها فاعبروا ... ولا تعمرها هونوها تهن

وما حسن بيت له زخرف ... تراه إذا زلزلت لم يكن

خشى أن يكون ارتكب حراما لاستعماله هذه الألفاظ القرآنية في الشعر فجاء إلى

شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد يسأله عن ذلك فأنشده إياهما فقال له قل وما

حسن كهف فقال يا سيدي أفدتني وأفتيتني

خاتمة

١٤٨٨ - قال الزركشي في البرهان لا يجوز تعدي أمثلة القرآن ولذلك أنكر على

الحريري قوله فأدخلني بيتا أخرج من التابوت وأوهى من بيت العنكبوت

وأي معنى أبلغ من معنى أكده الله من ستة أوجه حيث قال وإن أوهب البيوت

لبيت العنكبوت فأدخل إن وبنى أفعل التفضيل وبناء من الوهن وأضافه إلى الجمع

وعرف الجمع باللام وأتى في خبر إن باللام

١٤٨٩ - لكن استشكل هذا بقوله تعالى إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما

بعوضة فما فوقها وقد ضرب النبي المثل بما دون البعوضة فقال لو كانت الدنيا تزن
عند الله جناح بعوضة

قلت قد قال قوم في الآية إن معنى قوله فما فوقها في الخسة وعبر بعضهم عن
هذا بقوله معناه فما دونها فزال الإشكال

المراجع

الاتقان للسيوطي

دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي

مقدمات اساسية للجديع